الشباب بين الواقع والمأمول

عناصر الخطبة:

الشباب عنوان الأمة

حاجة الأمة إلى شبابها

خطورة مرحلة الشباب

مظاهر اهتمام الإسلام بالشباب

نماذج مشرقة من الشباب المؤمن

توجيهات نبوية للشباب

رسالة إلى أولياء الأمور

التفصيل

مقدمة: يمثل الشباب من حيث الكم ٦٠% من مجموع الأمة. ومن حيث الكيف يمثل قلب الأمة النابض وقوتها الدافعة ودرعها الواقي. . فهم بُدورها إذا أظلم ليلُها، وهم سيوفُها إذا جَلَّ خطبها. . هم كنزُها المدخر، ورصيدُها المعتبر. . ومستودع آمالها، وموضعُ ثقتها ورجائها. [١]

الشباب عنوان الأمة:

إذا أردت أن تعرف ماهية الأمة وحقيقة أمرها، فلا تسأل عن ذهبها وبترولها ورصيدها المالي، ولكن انظر إلى شبابها، فإن رأيته شبابا متدينا متمسكا بقيَمه الأصيلة منشغلا بمعالي الأمور، قابضا بأذيال الكمال وأهداب الفضائل –فاعلم أنها أمة جليلة الشأن، رفيعةُ القدر والجاه، قوية البناء، مرفوعة العلم لا ينال منها عدو، ولا يطمع فيها قوى. وإذا رأيت شباب الأمة هابط الخلق والقيم، منشغلا بسفاسف الأمور، يتساقط على الرذائل كما يتساقط الذباب على جيف الفلاة –فاعلم أنها أمة ضعيفة البناء مفككة الأوصال هشة الإرادة، سرعان ما تنهار أمام عدوها، فيستلب خيراتها، ويحقر مقدساتها، ويهين كرامتها، ويشوه تاريخها وثقافتها. [٢]

حاجة الأمة إلى شبابها:

الشباب هم عصب الحياة وقوامها، صلاحهم صلاح لأمتهم، وفسادهم فساد لأمتهم. وما ظهر الدين وعرف الناس شرائع النبيين إلا بفضل الشباب الصالحين الذين استجابوا لله والرسول –

صلى الله عليه وسلم-، والتاريخ أصدق شاهد بفضل الشباب الناشئين في طاعة الله من أمثال علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد وخالد بن الوليد وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس ومحمد بن القاسم ~وأرضاهم. [٣]

خطورة مرحلة الشباب:

إذا نظرت بعين الحقيقة إلى فترة الشباب، وجدتها فترة التأثير والتأثر، والعطاء والبذل، لأننا ونحن نعدُّ الشباب نستثمر مواهبه، ونفجر طاقاته ونستغلها في البناء والتعمير، ودفع العدو المغير، هي فترة الحاجة الماسة إلى التوجيه والترشيد والتبصير والعناية والرعاية. . هي فترة وضع حجر الأساس، وكلما كان الأساس متينًا كان البناء قويا شامخ الذرى، وكلما كان الأساس ضعيفا كان البناء هشًا سرعان ما يتحطم وينهار عند أول هبة ريح أو رشة مطر. إذن هي فترة لها ما بعدها، ومرحلة لها أثرها الخطير في المستقبل: سلبًا أو إيجابًا. صلاحًا أو فسادًا، سموًا أو هبوطًا. [٤]

قال ابن الجوزي: وهذا هو الموسم الأعظم الذي يقع فيه جهاد النفس والهوى وغلبة الشيطان. وبصيانة هذا الموسم يحصل القرب من الله عز وجل، وبالتفريط فيه يقع الخسران العظيم، وبالصبر فيه عن الزلل يثنى على الصابرين، كما أثنى الله فيه على الصابر يوسف الصديق؛ إذ لو زل من كان يكون؟ [٥]

ولخطورة هذه المرحلة من العمر خُصَّت بسؤال بين يدي الله عز وجل يوم القيامة: عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: "لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ

أَبْلَاهُ" [٦]

فأنت ــ أيها المسلم ــ مسؤول أمام الله يوم القيامة عن هذا الشباب، وهو المرحلة التي يكون الإنسان فيها قويًا فتيًا، ماذا عمل فيه؟ وبماذا استغله؟

وَإِذَا خَلَوْتَ بِرِيبَةٍ في ظُلْمَةٍ. . . والنَّفْسُ داعِيَةٌ إلى الطُّغيان

فاستحي مِن نَظَر الإله وقُلْ لَهَا. . . إنَّ الَّذي خَلَقَ الظَّلامَ يَرَانِي. . [٧]

مظاهر اهتمام الإسلام بالشباب:

لم يبدأ اعتناء الإسلام بالشباب عند بلوغهم سنَّ الشباب، بل اعتنى بهم وهم نطفٌ في أصلاب آبائهم وترائب أمهاتهم وذلك حين دعا إلى:

١ــ اختيار الزوجة والتحري من كرم أصلها وطيب منبتها؛ لأن الإنسان إذا أراد أن يبذر بذرا اختار له الأرض الصالحة بغية أن يخرج نباته بإذن ربه، {وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ

وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا } وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضى الله عنه-، عَنِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم-قَالَ: " تُنْكَحُ المَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ، تَرِبَتْ يَدَاكَ " [٨]

٢ــ من آداب المعاشرة الزوجية أن يسمى الله عند جماعه، لحديث ابْنِ عَبَّاسٍ -رضى الله عنهما- ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: " **لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ، فَقَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَإِنَّهُ إِنْ يُقَدَّرْ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ فِي ذَلِكَ لَمْ يَضُرُّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا** " [٩]

وهكذا يدعو الأبوان لابنهما قبل أن يولد بل قبل تكوينه. . حتى إذا جاء إلى الحياة نشأ نشأة رحمانية بعيدة عن غواية الشيطان ومكائده.

٣ــ أمر الشرع أن يُطعم الطفل، ويغذى من حلال؛ لأن الذي ينبت لحمه من حلال ينشأ وهو يحب الحلال -كما أن الذي ينبت لحمه من حرام ينشأ وهو يحب الحرام.

٤ــ إذا بلغ الأطفال السابعة من أعمارهم أمرناهم بالصلاة فإن داوموا عليها فبها ونعمت، وإلا ضربناهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقنا بينهم في المضاجع ليتعودوا على العفة، ولسد أي ذريعة إلى تعلم الفاحشة.

ففي حديث عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: **"مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا، وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ"** [١٠]

٥- ولقد رسم النبي-صلى الله عليه وسلم- فيما رسم منهجًا واضحًا للآباء والمربين لتربية شباب الأمة، ممثلًا في ابن عمه الغلام عبد الله بن عباس -رضى الله عنهما-، حيث قال له: "يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ"[١١]

فحينما نتأمل هذه التوجيهات النبوية التي يوجهها النبي -صلى الله عليه وسلم-لابن عمه ومن في مثل سِنِّهِ، نرى أنها متناسبة مع الشباب ومع طموحات الشباب. فمن حفظ الله عز وجل في حال قوته

وشبابه حفظه الله عز وجل في كبره وضعفه. [١٢]

فهذا رجل من السلف الصالح هو الطيب أبو الطبري قَدْ جاوز المائة سنة وَهُوَ ممتع بعقله وقوته فوثب يومًا من سفينة كَانَ فيها إلى الأرض وثبة شديدة فعوتب عَلَى ذَلِكَ فَقَالَ: هذه جوارح حفظناها فِي الصغر فحفظها الله عَلَيْنَا فِي الكبر. [١٣]

قال محمد بن الفضل: منذ أربعين سنة ما أمليت على كاتبي سيئةً، ولو فعلت ذلك لاستحييت منهما. [١٤]

وَعَكْسُ هَذَا أَنَّ بَعْضَ السَّلَفِ رَأَى شَيْخًا يَسْأَلُ النَّاسَ فَقَالَ: إِنَّ هَذَا ضَعِيفٌ ضَيَّعَ اللَّهَ فِي صِغَرِهِ، فَضَيَّعَهُ اللَّهُ فِي كِبَرِهِ. [١٥]

نماذج مشرقة من الشباب المؤمن:

**إبراهيم عليه السلام، واجه قومه وأنكر عليهم عبادة الأوثان، بل وكسرها وهو شاب يافع {قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ} [الأنبياء: ٦٠]

** فتيةُ الكهف الذين خلَّدَ اللهُ ذكرَهم في كتابه{إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى} [الكهف: ١٣] هؤلاء الشباب لم يرضوا لأنفسهم الاتباع الأعمى للأعراف الباطلة المخالفة للفطرة السليمة، فتركوا مجتمعهم الذي عجَّ فيه الشرك والجهل، واختاروا كهفًا ضيقًا مخيفًا

خشنًا، ليكون مأوىً لهم، كل ذلك من أجل دينهم وعقيدتهم.

** والفتى الداعية -غلام الأخدود- يسعى للموت، ويطلب القتل، تهون عليه روحه إذا كان في إزهاقها إيمان أمة، وصلاح شعب. وقصته مشهورة ومروية في الصحيح. [١٦]

**أسامة يقود الجيوش ولم يبلغ السابعة عشر من عمره، ومحمد بن القاسم يفتح بلاد الهند والسند ولم يبلغ العشرين، وعقبة بن نافع شاب في الخامسة والعشرين من عمره يفتح إفريقيا، وينشر فيها الإسلام، ويجوب المغرب حتى وقف على المحيط موحّدًا مصلّيًا، وهو يقول: "والله، لو أعلم أن وراء هذا الماء أرضًا لخضته بفرسي هذا رافعًا لا إله إلا الله". [١٧]

وهذا مَالِكُ بن الحويرث وأصحابه يسافرون إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- لتعلم العلم.

عن مَالِكِ بن الحويرث -رضى الله عنه- قال، أَتَيْنَا إِلَى النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ يَوْمًا وَلَيْلَةً، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- رَحِيمًا رَفِيقًا، فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّا قَدِ اشْتَهَيْنَا أَهْلَنَا - أَوْ قَدِ اشْتَقْنَا - سَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا بَعْدَنَا، فَأَخْبَرْنَاهُ، قَالَ: "ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ، فَأَقِيمُوا فِيهِمْ وَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ - وَذَكَرَ أَشْيَاءَ أَحْفَظُهَا أَوْ لاَ أَحْفَظُهَا - وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ" [١٨]

وَكَانَ الشَّافِعِيُّ - رَحمه اللَّهُ - يُنْشِدُ:

إِذَا رَأَيْت شَبَابَ الْحَيِّ قَدْ نَشَئُوا . . لَا يَحْمِلُونَ قِلَالَ الْحِبْرِ وَالْوَرَقَا

وَلَا تَرَاهُمْ لَدَى الْأَشْيَاخِ فِي حِلَقٍ . . يَعُونَ مِنْ صَالِحِ الْأَخْبَارِ مَا اتَّسَقَا

فَعَدِّ عَنْهُمْ وَدَعْهُمْ إِنَّهُمْ هَمَجُ. . . قَدْ بَدَّلُوا بِعُلُوِّ الْهِمَّةِ الْحُمُقَا. [١٩]

***وهذا سفيان بن عيينة شيخ المحدثين**

قَالَ أَحْمَدَ بْنِ النَّضْرِ الْهِلَالِيِّ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: كُنْتُ فِي مَجْلِسِ ابْنِ عُيَيْنَةَ، فَنَظَرَ إِلَى صَبِيٍّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَكَأَنَّ أَهْلَ الْمَسْجِدِ تَهَاوَنُوا بِهِ لِصِغَرِ سِنِّهِ، فَقَالَ سُفْيَانُ: {كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ}، ثُمَّ قَالَ: لَوْ رَأَيْتُنِي وَلِي عَشْرُ سِنِينَ، طُولِي خَمْسَةُ أَشْبَارٍ، وَوَجْهِي كَالدِّينَارِ، وَأَنَا كَشُعْلَةِ نَارٍ، ثِيَابِي صِغَارٌ، وَأَكْمَامِي قِصَارٌ، وَذَيْلِي بِمِقْدَارٍ، وَنَعْلِي كَآذَانِ الْفَارِ، أَخْتَلِفُ إِلَى عُلَمَاءِ الْأَمْصَارِ مِثْلِ الزُّهْرِيِّ وَعَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، أَجْلِسُ بَيْنَهُمْ كَالْمِسْمَارِ، وَمِحْبَرَتِي كَالْجَوْزَةِ، وَمِقْلَمَتِي كَالْمَوْزَةِ، وَقَلَمِي كَاللَّوْزَةِ، فَإِذَا دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ قَالُوا: أَوْسِعُوا لِلشَّيْخِ الصَّغِيرِ، أَوْسِعُوا لِلشَّيْخِ الصَّغِيرِ. ثُمَّ تَبَسَّمَ ابْنُ عُيَيْنَةَ وَضَحِكَ. [٢٠]

قال سهل بن عبد الله التستري: كنت وأنا ابن ثلاث سنين أقوم بالليل فأنظر إلى صلاة خالي محمد بن سوار فقال لي يومًا ألا تذكر الله الذي خلقك؟ فقلت: كيف أذكره؟ قال: قل بقلبك عند تقلبك. . . . . فتعلمت القرآن وحفظته وأنا ابن ست سنين أو سبع سنين وكنت

أصوم الدهر وقوتي من خبز الشعير اثنتي عشرة سنة. . [٢١]

***وهذا عبد الله بن أبي بكر الصديق**

تقول عائشة ' وهي تحكي وقائع هجرة النبي -صلى الله عليه وسلم-وأبي بكر -رضى الله عنه-: وكان عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ يَبِيتُ عِنْدَهُمَا، وَهُوَ غُلاَمٌ شَابٌّ، ثَقِفٌ لَقِنٌ، فَيُدْلِجُ مِنْ عِنْدِهِمَا بِسَحَرٍ، فَيُصْبِحُ مَعَ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ كَبَائِتٍ، فَلاَ يَسْمَعُ أَمْرًا، يُكْتَادَانِ بِهِ إِلَّا وَعَاهُ، حَتَّى يَأْتِيَهُمَا بِخَبَرِ ذَلِكَ حِينَ يَخْتَلِطُ الظَّلاَمُ "[٢٢٢]

***وهذا زيد بن ثابت يجمع القرآن الكريم**

عن زَيْد بْن ثَابِتٍ الأَنْصَارِيَّ -رضى الله عنه- قَالَ: أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ مَقْتَلَ أَهْلِ اليَمَامَةِ وَعِنْدَهُ عُمَرُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّ عُمَرَ أَتَانِي، فَقَالَ: إِنَّ القَتْلَ قَدْ اسْتَحَرَّ يَوْمَ اليَمَامَةِ بِالنَّاسِ، وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَسْتَحِرَّ القَتْلُ بِالقُرَّاءِ فِي المَوَاطِنِ، فَيَذْهَبَ كَثِيرٌ مِنَ القُرْآنِ إِلَّا أَنْ تَجْمَعُوهُ، وَإِنِّي لَأَرَى أَنْ تَجْمَعَ القُرْآنَ "، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: قُلْتُ لِعُمَرَ: "كَيْفَ أَفْعَلُ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-؟ " فَقَالَ عُمَرُ: هُوَ وَاللَّهِ خَيْرٌ، فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يُرَاجِعُنِي فِيهِ حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ لِذَلِكَ صَدْرِي، وَرَأَيْتُ الَّذِي رَأَى عُمَرُ، قَالَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ: وَعُمَرُ عِنْدَهُ جَالِسٌ لاَ يَتَكَلَّمُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ، وَلاَ نَتَّهِمُكَ، "كُنْتَ تَكْتُبُ الوَحْيَ لِرَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-"، فَتَتَبَّعِ القُرْآنَ فَاجْمَعْهُ، فَوَاللَّهِ لَوْ كَلَّفَنِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنَ الجِبَالِ مَا كَانَ أَثْقَلَ عَلَيَّ مِمَّا أَمَرَنِي بِهِ مِنْ جَمْعِ القُرْآنِ،. . " [٢٢٣]

* بَلَغَ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَنَّ ابْنًا لَهُ اشْتَرَى خَاتَمًا بِأَلْفِ دِرْهَمٍ فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ: فَإِذَا أَتَاك كِتَابِي فَبِعْ الْخَاتَمَ وَأَشْبِعْ أَلْفَ بَطْنٍ وَاتَّخِذْ خَاتَمًا مِنْ دِرْهَمَيْنِ وَاجْعَلْ فَصَّهُ حَدِيدًا صِينِيًّا وَاكْتُبْ عَلَيْهِ رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً عَرَفَ قَدْرَ نَفْسِهِ. [٢٢٤]

عن الليث بْن سعد، عَن أبي الأسود قال: أسلم الزبير وهو ابْن ثماني سنين، وهاجر وهو ابْن ثماني عشرة، وكان عمُّ الزبير يعلق الزبير في حصير ويدخن عليه النار، وهو يقول: ارجع، فيقول الزبير: لا أكفر أبدا. [٢٥]

وَعَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: إِنَّ أَوَّلَ مَنْ سُلَّ سَيْفُهُ فِي اللَّهِ الزُّبَيْرُ، نَفْخَةٌ نَفَخَهَا الشَّيْطَانُ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-عَلَيْهِ وَهُوَ بِأَعْلَى مَكَّةَ، فَسَلَّ الزُّبَيْرُ سَيْفَهُ، ثُمَّ خَرَجَ يَشُقُّ النَّاسَ- وَهُوَ غُلاَمٌ ابْنُ اثْنَتَي عَشْرَةَ سَنَةً بِيَدِهِ السَّيْفُ، فَمَنْ رَآهُ عَجِبَ، وَقَالَ: الغُلاَمُ مَعَهُ السَّيْفُ - حَتَّى أَتَى النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم-وَهُوَ بِأَعْلَى مَكَّةَ، فَقَالَ: "مَالَكَ يَا زُبَيْرُ؟ " قَالَ: أُخْبِرْتُ أَنَّكَ أُخِذْتَ، فأَتَيْتُ أَضْرِبُ بِسَيْفِي مَنْ أَخَذَكَ، فَصَلَّى عَلَيْهِ وَدَعَا لَهُ وَلِسَيْفِهِ. [٢٦]

*عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، أَنَّهُ قَالَ: بَيْنَا أَنَا وَاقِفٌ فِي الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ، نَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي وَشِمَالِي، فَإِذَا أَنَا بَيْنَ غُلَامَيْنِ مِنَ الْأَنْصَارِ حَدِيثَةٍ أَسْنَانُهُمَا، تَمَنَّيْتُ لَوْ كُنْتُ بَيْنَ أَضْلَعَ مِنْهُمَا، فَغَمَزَنِي أَحَدُهُمَا، فَقَالَ: يَا عَمِّ، هَلْ تَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، وَمَا حَاجَتُكَ إِلَيْهِ يَا ابْنَ أَخِي؟ قَالَ: أُخْبِرْتُ أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ اللهِ -صلى الله عليه وسلم-، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَئِنْ رَأَيْتُهُ لَا يُفَارِقُ سَوَادِي سَوَادَهُ حَتَّى يَمُوتَ الْأَعْجَلُ مِنَّا، قَالَ: فَتَعَجَّبْتُ لِذَلِكَ، فَغَمَزَنِي الْآخَرُ، فَقَالَ: مِثْلَهَا، قَالَ: فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ نَظَرْتُ إِلَى أَبِي جَهْلٍ يَزُولُ فِي النَّاسِ، فَقُلْتُ: أَلَا تَرَيَانِ؟ هَذَا صَاحِبُكُمَا الَّذِي تَسْأَلَانِ عَنْهُ، قَالَ: فَابْتَدَرَاهُ فَضَرَبَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا حَتَّى قَتَلَاهُ، ثُمَّ انْصَرَفَا إِلَى رَسُولِ اللهِ -صلى الله عليه وسلم-، فَأَخْبَرَاهُ، فَقَالَ: "أَيُّكُمَا قَتَلَهُ؟ " فَقَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا: أَنَا قَتَلْتُ، فَقَالَ: "هَلْ مَسَحْتُمَا سَيْفَيْكُمَا؟ " قَالَا:

لَا، فَنَظَرَ فِي السَّيْفَيْنِ، فَقَالَ: "كِلَاكُمَا قَتَلَهُ"، وَقَضَى بِسَلَبِهِ لِمُعَاذِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْجَمُوحِ، وَالرَّجُلَانِ مُعَاذُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْجَمُوحِ، وَمُعَاذُ بْنُ عَفْرَاءَ. [٢٧]

** وهذا زيد بن ثابت-رضى الله عنه-: فعَنْ خَارِجَةَ بْنِ زَيْدٍ، أَنَّ أَبَاهُ زَيْدًا، أَخْبَرَهُ: أَنَّهُ لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ-صلى الله عليه وسلم-الْمَدِينَةَ، قَالَ زَيْدٌ: ذُهِبَ بِي إِلَى النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم-فَأُعْجِبَ بِي، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا غُلَامٌ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ، مَعَهُ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ بِضْعَ عَشْرَةَ سُورَةً، فَأَعْجَبَ ذَلِكَ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم-، وَقَالَ: يَا زَيْدُ، تَعَلَّمْ لِي كِتَابَ يَهُودَ، فَإِنِّي وَاللَّهِ مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابِي قَالَ زَيْدٌ: فَتَعَلَّمْتُ لَهُ كِتَابَهُمْ، مَا مَرَّتْ بِي خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً حَتَّى حَذَقْتُهُ وَكُنْتُ أَقْرَأُ لَهُ كُتُبَهُمْ إِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ، وَأُجِيبُ عَنْهُ إِذَا كَتَبَ. [٢٨]

** لما فرغ عمر بن عبد العزيز من دفن سليمان بن عبد الملك خطب الناس ونزل ثم ذهب يتبوأ مقيلًا، فأتاه ابنه عبد الملك فقال: يا أمير المؤمنين ماذا تريد أن تصنع؟ قال: يا بني أقيل، قال: تقيل ولا ترد المظالم إلى أهلها؟! فقال: إني سهرت البارحة في أمر عمك سليمان، فإذا صليتُ الظهرَ رددتُ المظالمَ. فقال له ابنُه: ومن لك أن تعيش إلى الظهر؟ قال: ادن مني أي بني، فدنا منه فقبل بين عينيه وقال: الحمد لله الذي أخرج من صلبي من يعينني على

ديني. ثم قام وخرج وترك القائلة وأمر مناديه فنادى: ألا من كانت له مظلمة فليرفعها. . [٢٩]

*لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة وفد عليه وفود العرب ووفد عليه وفد الحجاز، فاختار الوفد غلامًا منهم، فقدموه عليهم ليبدأ بالكلام، فلما ابتدأ الغلام بالكلام وهو اصغر القوم سنًا قال عمر: مهلا يا غلام ليتكلم من هو أسنّ منك فهو أولى بالكلام، فقال: مهلًا يا أمير المؤمنين، إنما المرء بأصغريه لسانه وقلبه، فإذا منح الله العبد لسانًا لافظًا، وقلبًا حافظًا، فقد استجاد له الحلية، يا أمير المؤمنين، ولو كان التقدم بالسن لكان في هذه الأمة من هو أسن منك، قال: تكلم يا غلام، وأذن له في الكلام. [٣٠]

توجيهات نبوية للشباب:

١- الحفاظ على الوقت

** عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ-رضى الله عنهما-قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم-لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظُهُ ((اغتنم خمسًا قَبْلَ خَمْسٍ: حَيَاتَكَ قبْل موتِكَ، وصِحَّتَكَ قبل سَقَمِكَ، وفَرَاغَكَ قبل شُغْلِكَ، وَشَبَابَكَ قبل هَرَمِكَ، وغِنَاكَ قبل فَقْرِكَ[٣١]كانت حفصة بنت سيرين تقول: يا معشر الشباب خذوا من أنفسكم وأنتم شباب فإني ما رأيت العمل إلا في الشباب. [٣٢]

٢- ملازمة المساجد والصحبة الطيبة والبعد عن الشهوات

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضى الله عنه-، عَنِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم-قَالَ: " سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ،

وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ" (٣٣)

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: خَصَّ الشَّابَّ لِكَوْنِهِ مَظِنَّةَ غَلَبَةِ الشَّهْوَةِ لِمَا فِيهِ مِنْ قُوَّةِ الْبَاعِثِ عَلَى مُتَابَعَةِ الْهَوَى فَإِنَّ مُلَازَمَةَ الْعِبَادَةِ مَعَ ذَلِكَ أَشَدُّ وَأَدَلُّ عَلَى غَلَبَةِ التَّقْوَى. (٣٤)

عَنْ عَلْقَمَةَ، قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ عَبْدِ اللهِ بِمِنًى، فَلَقِيَهُ عُثْمَانُ، فَقَامَ مَعَهُ يُحَدِّثُهُ، فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَلَا نُزَوِّجُكَ جَارِيَةً شَابَّةً، لَعَلَّهَا تُذَكِّرُكَ بَعْضَ مَا مَضَى مِنْ زَمَانِكَ، قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: لَئِنْ قُلْتَ ذَاكَ، لَقَدْ قَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم-: "يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ" (٣٥)

٣- الأدب مع الكبير

* عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم-: لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرِنَا. (٣٦)

وعن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ -رضى الله عنه- قال: جَاءَ شَيْخٌ يُرِيدُ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم-فَأَبْطَأَ القَوْمُ عَنْهُ أَنْ يُوَسِّعُوا لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم-: "لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا" (٣٧)

٤- تذكر الموت

وقال بعضهم: أكثر من يموت الشباب وآية ذلك أن الشيوخ في الناس قليل. [٣٨]

قال الْحَسَنُ البصري: " يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ إِيَّاكُمْ وَالتَّسْوِيفَ: سَوْفَ أَفْعَلُ، سَوْفَ أَفْعَلُ" [٣٩]

كان أبو إسحاق السبيعي يقول: يا معشر الشباب اغتنموا فقلَّ ما تمرُّ بي ليلةٌ إلا وأنا أقرأ فيها ألف آية. [٤٠]

مَرَّ بِالْحَسَنِ شَابٌّ عَلَيْهِ بَزَّةٌ لَهُ حَسَنَةٌ فَدَعَاهُ فَقَالَ: ابْنُ آدَمَ مُعْجَبٌ بِشَبَابِهِ مُعْجَبٌ بِجَمَالِهِ كَأَنَّ الْقَبْرَ قَدْ وَارَى بَدَنَكَ، وَكَأَنَّكَ قَدْ لَاقَيْتَ عَمَلَكَ يَا وَيْحَكَ دَاوِ قَلْبَكَ فَإِنَّ حَاجَةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى الْعِبَادِ صَلَاحُ قُلُوبِهِمْ. [٤١]

٥- الجد في طلب الآخرة

قال الله: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ} [آل عمران: ١٤٢]

كَانَ الْحَسَنُ كَثِيرًا مَا يَقُولُ: يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، عَلَيْكُمْ بِالْآخِرَةِ فَاطْلُبُوهَا؛ فَكَثِيرًا رَأَيْنَا مَنْ طَلَبَ الْآخِرَةَ فَأَدْرَكَهَا مَعَ الدُّنْيَا، وَمَا رَأَيْنَا أَحَدًا طَلَبَ الدُّنْيَا فَأَدْرَكَ الْآخِرَةَ مَعَ الدُّنْيَا. [٤٢]

قال الْجُنَيْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ: كَانَ السَّرِيُّ يَقُولُ لَنَا وَنَحْنُ حَوْلَهُ: أَنَا لَكُمْ عِبْرَةٌ، يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، اعْمَلُوا فَإِنَّمَا الْعَمَلُ فِي الشَّبِيبَةِ. [٤٣]

وكان يَقُول أيضًا: يا معشر الشباب جدوا قبل أَن تبلغوا مبلغي فتضعفوا وتقصروا كَمَا ضعفت وقصرت وكَانَ فِي ذَلِكَ الوقت لا يلحقه الشباب فِي العبادة. [٤٤]

وكان يوسف بن أسباط يقول يا معشر الشباب بادروا بالصحة قبل المرض فما بقي أحد

أحسده إلا رجل يتم ركوعه وسجوده وقد حيل بيني وبين ذلك. [٤٥]

قال ابن الجوزي: يَا معشر الشَّبَاب هَذَا زمَان ربيعكم فَأَيْنَ زهر علومكم. [٤٦]

عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ أَنَّهُ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ لِجُلَسَائِهِ: " يَا مَعْشَرَ الشُّيُوخِ: مَا يُنْتَظَرُ بِالزَّرْعِ إِذَا بَلَغَ؟ قَالُوا: الْحَصَادُ، قَالَ: يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ: إِنَّ الزَّرْعَ قَدْ تُدْرِكُهُ الْعَاهَةُ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ ". [٤٧]

رسالة إلى أولياء الأمور:

قال الله تعالى: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** } [التحريم: ٦]

عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ –رضى الله عنه– قَالَ: عَلِّمُوهُمْ، وَأَدِّبُوهُمْ.

وعَنْ قَتَادَةَ قَالَ: مُرُوهُمْ بِطَاعَةِ اللَّهِ، وَانْهُوهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ. [٤٨]

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ-رضى الله عنهما-: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-، قَالَ: "أَلاَ كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالإِمَامُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى أَهْلِ بَيْتِ زَوْجِهَا وَوَلَدِهِ، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَعَبْدُ الرَّجُلِ

رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلاَ فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ"[٤٩]

وعن مَعْقِل بْن يَسَارٍ الْمُزَنِيّ -رضى الله عنه- قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ: "مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ" [٥٠]

([١]) التربية الإسلامية للشباب (ص: ١٩١)

([٢]) التربية الإسلامية للشباب (ص: ١٩٢)

([٣]) دور الشباب المسلم في الحياة (ص: ٣)

([٤]) التربية الإسلامية للشباب (ص: ١٩١)

([٥]) مواسم العمر لابن الجوزي (ص: ٤٥)

([٦]) رواه الترمذي (٢٤١٧) وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ٦٢٩)

([٧]) مجموعة القصائد (١/ ١٦٠)

([٨]) رواه البخاري (٥٠٩٠) ومسلم (١٤٦٦)

([٩]) رواه البخاري (٧٣٩٦) ومسلم (١٤٣٤)

([١٠]) رواه أبو داود (٤٩٥) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٠٢٢)

([١١]) رواه الترمذي (٢٥١٦)وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٣١٨)

([١٢]) دروس للشيخ صالح بن حميد (٩/ ٣)

([١٣]) صفة الصفوة (١/ ٥٦٠)

([١٤]) مواسم العمر لابن الجوزي (ص: ٤٧)

([١٥]) جامع العلوم والحكم (١/ ٤٦٦)

([١٦]) رواه مسلم (٣٠٠٥)

([١٧]) موسوعة خطب المنبر (ص: ٣٣٨٧)

([١٨]) رواه البخاري (٦٣١) ومسلم (٦٧٤)

([١٩]) الآداب الشرعية (١/ ٢١٢)

([٢٠]) اللطائف من دقائق المعارف لأبي موسى المديني (ص: ٢٧١)

([٢١]) إحياء علوم الدين (٣/ ٧٤)

([٢٢]) رواه البخاري (٣٩٠٥)

([٢٣]) رواه البخاري (٤٦٧٩)

([٢٤]) الرسالة القشيرية (١/ ٢٨١)

([٢٥]) تهذيب الكمال (٩/ ٣٢١)

([٢٦]) سير السلف الصالحين لإسماعيل بن محمد الأصبهاني (ص: ٢٢٤)

([٢٧]) رواه البخاري (٣١٤١) ومسلم (١٧٥٢)

([٢٨]) مسند أحمد (٥/ ١٨٦) وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح (٣/ ١٣٢٠)

([٢٩]) البداية والنهاية (٩/ ٢٣٨)

([٣٠]) مروج الذهب للمسعودي (٣/ ١٨٧)

([٣١]) رواه الحاكم (٤/ ٣٠٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٢٤٤)

([٣٢]) صفة الصفوة (٢/ ٢٤١)

([٣٣]) رواه البخاري (٦٦٠) ومسلم (١٠٣١)

([٣٤]) فتح الباري (٢/ ١٤٥)

([٣٥]) رواه البخاري (٥٠٦٥) ومسلم (١٤٠٠)

([٣٦]) مسند أحمد (٢/ ١٨٥) وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (ص: ١٤٢)

([٣٧]) الترمذي (١٩١٩)وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٤/ ٤١٩)

([٣٨]) لطائف المعارف لابن رجب (ص: ٣١٤)

([٣٩]) قصر الأمل لابن أبي الدنيا (ص: ١٤٢)

([٤٠]) التهجد وقيام الليل لابن أبي الدنيا (ص: ١٩٤)

([٤١]) التواضع والخمول لابن أبي الدنيا (ص: ٢٨٦)

([٤٢]) الزهد الكبير للبيهقي (ص: ٦٥)

([٤٣]) الزهد الكبير للبيهقي (ص: ١٩٩)

([٤٤]) الرسالة القشيرية (١/ ٢١٧)

([٤٥]) إحياء علوم الدين (١/ ١٤٩)

([٤٦]) التذكرة في الوعظ (ص: ٤٣)

([٤٧]) الزهد الكبير للبيهقي (ص: ٢٠١)

([٤٨]) تفسير الطبري (٢٣/ ١٠٣)

([٤٩]) رواه البخاري (٧١٣٨) ومسلم (١٨٢٩)

([٥٠]) رواه مسلم (١٤٢)